

تفسير ابن كثير

مُسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ

وقوله : (مسومة) أي معلمة مختومة ، عليها أسماء أصحابها ، كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه . وقال قتادة وعكرمة : (مسومة) [أي] مطوقة ، بها نضح من حمرة . وذكروا أنها نزلت على أهل البلد ، وعلى المتفرقين في القرى مما حولها ، فبينا أحدهم يكون عند الناس يتحدث ، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس ، فدمره ، فتبعهم الحجارة من سائر البلاد ، حتى أهلكتهم عن آخرهم فلم يبق منهم أحد . وقال مجاهد : أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم ، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم أكفأهم [وقال] وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن . قال : ولما قلبها كان أول ما سقط منها شدانها . وقال قتادة : بلغنا أن جبريل أخذ بعروة القرية الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جو السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شذاذ القوم سخرا - قال : وذكر لنا أنهم كانوا أربع قرى ، في كل قرية مائة ألف - وفي رواية : [كانوا] ثلاث قرى ،

الكبرى منها سدوم . قال : وبلغنا أن إبراهيم - عليه السلام - كان يشرف على سدوم ،
ويقول : سدوم ، يوم ، ما لك ؟ . وفي رواية عن قتادة وغيره : بلغنا أن جبريل عليه السلام ،
لما أصبح نشر جناحه ، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها
، وجميع ما فيها ، فضمها في جناحه ، فحواها وطواها في جوف جناحه ، ثم صعد بها
إلى السماء الدنيا ، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب ، وكانوا أربعة آلاف
ألف ، ثم قلبها ، فأرسلها إلى الأرض منكوسة ، ودمدم بعضها على بعض ، فجعل عاليها
سافلها ، ثم أتبعها حجارة من سجيل . وقال محمد بن كعب القرظي : كانت قرى قوم لوط
خمس قريات : " سدوم " ، وهي العظمى ، و " صعبة " و " صعوة " و " عشرة " و " دوما "
، احتملها جبريل بجناحه ، ثم صعد بها ، حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نايحة
كلابها ، وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة ، يقول الله
تعالى : (جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) فأهلكها الله وما حولها من
المؤتفكات . وقال السدي : لما أصبح قوم لوط ، نزل جبريل فاقتلع الأرض من سبع
أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء ، حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم ، وأصوات

ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك قوله (والمؤتفة أهوى) [النجم : 53] ، ومن لم
يمت حين سقط للأرض ، أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم
شاذا في الأرض يتبعهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك
قوله عز وجل : (وأمطرنا عليهم) أي : في القرى حجارة من سجيل . هكذا قال السدي
، وقوله : (وما هي من الظالمين ببعيد) أي : وما هذه النعمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ،
ببعيد عنه . وقد ورد في الحديث المروي في السنن عن ابن عباس مرفوعا " من وجدتموه
يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به " . وذهب الإمام الشافعي في قول عنه
وجماعة من العلماء إلى أن اللائط يقتل ، سواء كان محصنا أو غير محصن ، عملا بهذا
الحديث . وذهب الإمام أبو حنيفة [رحمه الله إلى] أنه يلقي من شاهق ، ويتبع بالحجارة
، كما فعل الله بقوم لوط ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .